

الدرس الحادي عشر :

لو - لولا - لوما



مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، وبعد .. فقد فرغنا في الدروس السابقة من الحديث في حالة الجزم وآخرها حديث أسلوب الشرط والجزاء ، والنحويون يكملون حديث الشرط والجزاء بالحديث عن (أما) لأنها تنوب عن أداة شرط وفعل شرط ثم بالحديث عن أدوات الشرط الامتناعي ، وقد تقدم الحديث مفصلاً عن (أما) ، كما تقدم الحديث عن (لو) وتقسيمها إلى امتناعية تفيد التعليق في الماضي ، ومرادفة لـ(إن) الشرطية ، وبقيت أحكام تتعلق بـ(لو) نذكرها في هذا الدرس ثم ننتقل إلى الحديث عن لولا ولوما . فنقول وبالله التوفيق .

أحكام (لو)⁽¹⁾ :

يقول ابن مالك رحمه الله :

إيلاؤها مستقبلاً لكن قبل	(لو) حرف شرط في مضي ويقبل
لكن (لو) (أن) بها قد تفترن	وهي في الاختصاص بالفعل كالـ(إن)
إلى المضي نحو : لو يفي كفى	وإن مضارع تلاها صرفاً

وفي قوله هذا تقسيم لو إلى مفيدة للتعليق في الماضي ، وهو الكثير فيها ، وإلى مفيدة للتعليق في المستقبل ، وهو قليل لكنه مقبول ، وفيه أيضاً بيان

(1) انظر التصريح 255/2 وما بعدها والأشْمُونِي 35/4 وما بعدها .

لأحكام (لو) ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

الحكم الأول : أنها سواء أكانت امتناعية أو بمعنى (إن) تختص بالفعل فلا تدخل إلا على الفعل لفظاً أو تقديرًا ، أما دخولها على الفعل لفظاً فقد تقدمت له أمثلة كثيرة ، وهو نحو قولك : لو زارني زيد لأكرمته ، ولو لم يزرني زيد لأهنته .
وأما دخولها على الفعل تقديرًا فضابطه أن يليها اسم مرفوع معمول لمحذوف يفسره ما بعده ، أو اسم منصوب معمول لمحذوف يفسره ما بعده ، أو خبر لـ (كان) محذوفة ، فالأول كقول حاتم الطائي : لو ذات سوار لطمتني ، فهذا على تقدير : لو لطمتني ذات سوار ، ومثله قول عمر رضي الله عنه : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، وهو على تقدير : لو قالها غيرك ، والجواب هنا محذوف تقديره ، لعددتها ، وكذلك الجواب محذوف في قول حاتم وتقديره : لهان على ذلك ، ومن ذلك قول الشاعر :

أخلاي لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب

أي : لو أصابكم غير الحمام ، ومثله قول الشاعر :

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بني العوام

أي : لو علق غيركم .

والثاني وهو المنصوب بفعل يفسره ما بعده ، مثل : لو زيدا رأيت أكرمته .
والثالث وهو خبر كان المحذوفة مثل : التمس ولو خاتماً من حديد ، واضرب ولو زيدا ، وألماء ولو بارداً ، وقول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكاً جنوده ضاق عنها السهل والجبل

فالتقدير : ولو كان الملتمس خاتماً ، ولو كان المضروب زيدا ، ولو كان الماء بارداً ، ولو كان الباغي ملكاً .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ ﴾ على أن التقدير : لو كنتم تملكون ، فلما حذف (كان) : انفصل الضمير ، ورد هذا بأن المعهود بعد (لو) حذف كان واسمها لا حذف كان وحدها ، فهذه

الآية تصلح مثالا لدخول (لو) على مرفوع بمضمر يفسره ما بعده ، والأصل : لو تملكون ، والضمير فيه مستتر ، فلما حذف انفصل الضمير .

وهذا الذي قررته هو مذهب الجمهور ، وذهب ابن عصفور إلى أن (لو) لا ينبغي أن يليها إلا فعل ظاهر ، وأما المضمر فلا ينبغي أن يليها إلا في ضرورة أو نادر كلام ، ومثل للنادر بقول حاتم المذكور .

قال الأشموني : (والظاهر أن ذلك لا يختص بالضرورة والناذر ، بل يكون في فصيح الكلام كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ حذف الفعل فانفصل الضمير) .

الحكم الثاني : إذا ولي (لو) جملة اسمية كما في قول عدي بن زيد :
لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
وقول الآخر :

لو في طهية أحلام لما عرضوا دون الذي أنا أرميه ويرميني
فللنحويين فيه ثلاثة أقوال : الأول أن ذلك محمول على ظاهره ، وأن الجملة الاسمية وليت (لو) على سبيل الشذوذ ، وهذا قول الجمهور .
الثاني : أن ذلك على إضمار (كان) الثانية ومعها ضمير الشأن اسمها ، والجملة خبر عنها ، وهذا قول ابن خروف .

الثالث : أنه على إضمار فعل ، والتقدير في بيت عدي : لو شرق حلقي بغير الماء هو شرق ، وهذا قول أبي علي الفارسي ، ويقدر في البيت الثاني على قياسه : لو ثبت في طهية أحلام .

الحكم الثالث : أن (لو) تفارق (إن) الشرطية في وقوع (أن) بعدها كثيراً كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَوْا أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقُوا ﴾ ، ﴿ وَكَوْا أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ ، ﴿ وَكَوْا أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ ، ﴿ وَكَوْا أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ وقول امرئ القيس :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

وأمثلة ذلك كثيرة ، وموضع (أن) وصلتها عند جميع النحويين في هذه الأمثلة ونحوها موضع رفع ثم اختلف في إعراب المصدر المؤول منهما ، فقال سيبويه وجمهور البصريين مرفوع بالابتداء فهو مبتدأ ، وهذا المبتدأ لا يحتاج إلى خبر عند كثيرين منهم ؛ لأن صلة (أن) مشتملة على مسند ومسند إليه ، وقال بعضهم : له خبر مقدر محذوف ، ويقدر مقدماً ، وتقديره : ثابت ، أي : ولو ثابت إيمانهم ، ولو ثابت صبرهم ، ولو ثابت فعلهم ، وهكذا ، فهو على حد قوله تعالى : ﴿ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ﴾ وقال ابن عصفور : بل يقدر في هذه الأمثلة مؤخرًا على الأصل ، ويشهد لذلك أنه أتى مؤخرًا بعد (أما) في قول الشاعر :

عندي اصطبار وأما أنني جزع
 فإن قوله (فلوجد كاد يبريني) خبر المصدر المؤول من قوله (أنني جزع) ،
 وحكم (لو) كحكم (أما) وعلى هذا يكون تقدير الخبر : ولو إيمانهم ثابت ، ولو
 صبرهم ثابت ، وهكذا .

وذهب الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري وغيرهم إلى أن المصدر المؤول من أن وصلتها فاعل بـ(ثبت) مقدرًا ، والتقدير : ولو ثبت إيمانهم ، ولو ثبت صبرهم .. وهكذا ، والدال على هذا الفعل المقدر هو (أن) لدلالاتها على الثبوت ، وهذا شبيه بما أجمع عليه النحويون من أن قول العرب : (لا أكلمه ما أن في السماء نجما) على تقدير : ما ثبت أن في السماء نجما ، حيث جعلت (أن) وصلتها في موضع رفع على الفاعلية بـ(ثبت) مقدرًا .

وابن هشام رجح قول هؤلاء لما فيه من إبقاء (لو) على اختصاصها بالفعل ، لكن قال المصريح : (يبعد أن الفعل بعد (لو) وغيرها من أدوات الشرط لم يحذف إلا مفسرا بفعل بعده إلا كان ، والمقرون بـ(لا) بعد (إن) أي إلا في نحو : ﴿ إن امرؤ هلك ﴾ واضرب ولو زيدًا ، وافعل هذا وإن لا قتلتك .

وقد أوجب الزمخشري في (أن) الواقعة بعد (لو) أن يكون خبرها جملة فعلية ليكون الفعل فيها عوضًا عن الفعل المحذوف ، وقال غيره من النحويين :

لا يسلم ذلك على إطلاقه بل هو مسلم في الخبر المشتق لا في الخبر الجامد،
ومن أمثلة الخبر الجامد قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾
وقول الشاعر :

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم
وقول الآخر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيداً وأزئماً
ورد ابن مالك ما أوجه الزمخشري مطلقاً بدليل أن الخبر جاء اسماً مشتقاً
كما في قول ليبيد :

لو أن حيا مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح
وقول أبي العوأم بن كعب بن زهير :

ولو أن ما أبقيت منى معلق يعود ثمام ما تأود عودها
وقول صخر بن عمرو :

ولو أن حيا فائت الموت فاته أخو الحرب فوق القارح العدوان

والفرس القارح : الذي عمره خمس سنين ، والعدوان : الشديد العدو والجري .
الحكم الرابع : أنها إذا كانت للتعليق في الماضي فالغالب أن يليها الماضي
لفظاً ومعنى نحو : (لو زارني لأكرمه) أو معنى فقط نحو : (لو لم يزرني لأهنته) ،
فإن وليها مضارع أول بالماضي كما في قوله تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ
الْأَمْرِ لَعَسْتُمْ ﴾ أي : لو أطاعكم ، ومثله قول كثير عزة :

لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعاً وسجوداً
فهذا في تأويل : لو سمعوا .

وإذا كانت للتعليق في المستقبل ، ووليها فعل ماض لفظاً أول بالمستقبل
معنى كما في الآية : ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِن خَلْفِهِمْ ذُرِيَةً ضِعَافًا خَافُوا
عَلَيْهِمْ ﴾ فهي على تأويل : إن يتركوا ذرية ضعافاً .

وإذا تلاها مضارع في تلك الحالة تخلص للاستقبال كما في قول الشاعر :

لا يلفك الراجوك إلا مظهرًا خلق الكرام ولو تكون عديمًا

فهذا على تأويل : إن تكن عديمًا ، أي : فقيرًا ، في المستقبل فلا تظهر أمام

الراجين إلا الكرم .

الحكم الخامس : أنها لغلبة دخولها على الماضي لم تجزم ولو أريد بها معنى

(إن) الشرطية ، فهذا رفع الفعل المضارع بعدها في قوله : (ولو تكون عديمًا) مع

أنها مستعملة فيه للتعليق في المستقبل ، وزعم بعض النحويين أن الجزم بـ(لو)

متردد على لغة لبعض العرب ، ونُقل عن ابن السجري وجماعة أن الجزم بها

جائز في ضرورة الشعر ، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر :

لو يشأ طار به ذو ميعة لاحق الأطال نهد ذو خصل

ويقول الآخر :

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت إحدى نساء بني ذهل بن شيباناً⁽¹⁾

والجمهور على أنها لا تجزم الفعل المضارع ، ولو كانت مرادفة لـ(إن) في

إفادة التعليق في المستقبل ، وأن هذين البيتين يحمل الإسكان فيهما على غير الجزم

كما تقدم حديث ذلك في عوامل الجزم ، وهذا مما تفارق فيه (لو) إن الشرطية .

الحكم السادس : يأتي جواب (لو) على ثلاث صور :

الصورة الأولى : أن يكون ماضيًا معنى ، وهو المضارع المجزوم بلم كما في

الأثر : (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) وكما في قولنا : لو زارني

علي لم أهنه ، وهذا المضارع المجزوم بلم يجب تجرده من اللام ؛ لأن اللام لا

تدخل على ناف إلا (ما) .

الصورة الثانية : أن يكون ماضيًا وضعًا مثبتًا ، والغالب عليه دخول اللام كما

في قوله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ وقد ترك هذه اللام كما في قوله

(1) انظر الجني الداني ص 286 ، 287 .

تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا ﴾ ، قال بعض النحويين في بيان الفرق بين الآيتين : هذه اللام تسمى لام التسوية ؛ لأنها تدل على تأخير وقوع الجواب عن الشرط وتراخيه عنه ، كما أن إسقاطها يدل على التعجيل ، أي أن الجواب يقع عقب الشرط بلا مهلة ، ولهذا دخلت في ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ وحذفت في ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا ﴾ ، أي لوقته في المزن من غير تأخير ، والفائدة في تأخير جعله حطامًا وتقديم جعله أجاجًا تشديد العقوبة ، أي إذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الأطماع جعلناه حطامًا كما قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴾ .

الصورة الثالثة : أن يكون ماضيًا وضعا منفيًا بـ(ما) ، وهذا الجواب يغلب عليه تجرده من اللام ، واقتراعه بها قليل ، فمن الأكثر قوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَاتُ رَبِّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ وعلى هذا نقول : لو جاءني ظالم ما أكرمته ، ومن القليل قول الشاعر :

ولو نعطي الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي

والشرط هنا مؤول بالماضي : أي ولو أعطينا الخيار ، ويدخل في هذه الصورة قول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما أخرجه البخاري : (لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر على ثلاث وعندي منه شيء) لأنه على تقدير : ما كان يسرني ، فهو على حذف كان و(لا) في قوله (أن لا يمر) زائدة .

ولجواب (لو) صورتان أخريان نادرتان :

الأولى : عبر عنها ابن هشام بقوله : قد ورد جواب (لو) الماضي مقروناً بقد ، وهو غريب كقول جرير :

لو شئت قد نقع الفؤادُ بشربة تدعُ الحوائم لا يجذُنُ غليلاً⁽¹⁾

والثانية : أنه قد يأتي جملة اسمية مقرونة باللام كقوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَاتُ رَبِّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾

(1) انظر مغني اللبيب 1/ 272 .

آمَنُوا وَأَتَقُوا لِمُتَّوَبَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ) صرح بذلك ابن الناظم في شرح التسهيل فقال : (إن اللام في (لمتوبة) جواب (لو)⁽¹⁾) وعلل ذلك الزمخشري بأن جعل الجواب جملة اسمية يدل على استمرار مضمون الجزاء ، قال في الكشف : فإن قلت : كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لو) قلت : لما في ذلك من الدلالة على ثبات المتوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في (سلام عليكم) لذلك⁽²⁾ .

وقيل في الآية : إن الجملة مستأنفة ، واللام فيها لام الابتداء وليست الواقعة في جواب (لو) وإلى ذلك ذهب أبو حيان في (البحر)⁽³⁾ ، وقيل : هي جواب لقسم مقدر ، والتقدير : والله لمتوبة ، وبذلك صرح ابن مالك في بعض نسخ التسهيل بقوله : (وإذا وليها جملة اسمية فهي جواب قسم)⁽⁴⁾ وارتضى ذلك ابن هشام في المغني حيث قال : (والأولى أن تكون لام (لمتوبة) لام جواب القسم بدليل كون الجملة اسمية ، وأما القول بأنها جواب (لو) وأن الاسمية استعيرت في مكان الفعلية فيه تعسف⁽⁵⁾) .

وفي هذين الوجهين الأخيرين - وهما الاستئناف وجواب القسم - تكون (لو) لتتبع ولا تحتاج إلى جواب على الأصح .

ونظير هذه الآية في مجيء الجواب جملة ، الجملة المقرونة بالفاء في جواب (لو) في قول الشاعر :

قالت سلامة لم يكن لك عادة أن تترك الأعداء حتى تُعذرا
لو كان قتلٌ يا سلام فراحة لكن فررت مخافة أن أوسرا

(1) شرح التسهيل من صنع ابن الناظم ج 4 ، ص 100 .

(2) الكشف 1/ 302 .

(3) البحر المحيط 1/ 335 .

(4) التسهيل ص 241 .

(5) مغنى اللبيب 1/ 235 .

وقوله : (راحة) على هذا خبر لمبتدأ تقديره : فهو راحة ، فالجواب هنا جملة اسمية لا محل لها ، كما في الآية ، ويجوز جعل الجملة مستأنفة على تقدير : فالقتل راحة ، وأجاز ابن الناظم أن يكون الجواب في البيت محذوفاً ، والتقدير : لو كان قتل فراحة لثبت .

تنبيهان : الأول : ذكر صاحب رصف المباني أن (لو) لها أربعة أحوال :
أولها : تكون حرف امتناع لامتناع إذا دخلت على جملتين موجبتين نحو قولك :
لو قام زيد لأحسنت إليك .

ثانيها : تكون حرف وجوب لوجوب إذا دخلت على جملتين منفيتين نحو قولك : لو لم يقم زيد لم يقم عمرو .

ثالثها : تكون حرف امتناع لوجوب إذا دخلت على جملة موجبة ثم منفية نحو قولك : لو يقوم زيد لما قام عمرو .

رابعها : تكون حرف وجوب لامتناع إذا دخلت على جملة منفية ثم موجبة نحو قولك : لو لم يقم زيد لقام عمرو⁽¹⁾ .

وقد ذكر المرادي هذه الأحوال الأربعة ونسبها إلى بعض النحويين ثم قال معقباً : وهذا لا تحقيق فيه ، بل هي في ذلك كله حرف امتناع لامتناع ، فتأمل ذلك⁽²⁾ .

التنبيه الثاني : قد يحذف جواب (لو) للعلم به كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَاتُنا أَنْ قُرْأنا سُبْرَاتٍ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتى .. ﴾ وتقدير الجواب : لكان هذا القرآن ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَاتُنا الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذابَ أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً .. ﴾ أي لراوا أمراً عظيماً .

(1) رصف المباني ص 358 .

(2) الجني الداني ص 277 .

أحكام (لولا)

أولاً : أوجه استعمالها :

ذكر ابن هشام في المغنى أنها تستعمل على أربعة أوجه⁽¹⁾ :

الوجه الأول : أن تدخل على جملتين اسمية فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى نحو : لولا زيد لأكرمتك ، أي لولا زيد موجود ، و(لولا) تدل في هذا الوجه على امتناع شيء لوجود غيره ، فهي تدل على امتناع جوابها لوجود تاليها ، ومن شواهد ما قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ ، ومنه الحديث : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) لأن التقدير : لولا مخافة أن أشق على أمتي ، فامتنع الأمر بالسواك لوجود المخافة .

وذكر المرادي أن (لولا) في هذا الاستعمال حرف امتناع لوجوب ، ثم قال : (وبعضهم يقول : (لوجود) بالدال ، ويلزم على عبارة سيويه في (لو) أن يقال : لولا حرف لما كان سيقع لانتفاء ما قبله)⁽²⁾ وقال صاحب رصف المباني : (الصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها ، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب نحو قولك : لولا زيد لأحسنت إليك ، فالإحسان امتنع لوجود زيد ، وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع نحو : لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك ، وإن كانتا موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب نحو : لولا زيد لم أحسن إليك ، وإن كانتا منفية وموجبة فهي حرف امتناع لامتناع نحو : لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك)⁽³⁾ .

واختلف النحويون في توجيه رفع الاسم الواقع بعد (لولا) في هذا الاستعمال بعد اتفاقهم على أنها فيه مختصة بالأسماء ، فأكثر النحويين على أنه مرفوع بالابتداء سواء أكان ظاهراً نحو : لولا زيد لأكرمتك ، أم ضميراً نحو :

(1) مغنى اللبيب 272 / 1 ، وما بعدها .

(2) الجني الداني ص 601 ، 602 .

(3) رصف المباني ص 362 ، 363 .

لولا أنت أكرمته ، و(لولا) حينئذ حرف ابتداء ، وما بعدها مرفوع على أنه مبتدأ ، واختلفوا في خبره فذهب جمهورهم إلى أنه محذوف واجب الحذف مطلقاً ، وأنه لا يكون إلا كونا مطلقاً ، فالتقدير : لولا زيد كائن أو موجود ، ولولا أنت كائن أو موجود ، ولا يجوز عندهم أن يكون كونا مقيدا ، فلا يقال : لولا زيد قائم ، بل يجعل القيد مبتدأ فيقال : لولا قيام زيد ، فيكون الخبر كونا مطلقاً على ما هو عليه .

وذهب الرماني وابن الشجري والشلوبين وابن مالك إلى أن الخبر يكون كونا مطلقا كالوجود والحصول فيجب حذفه ، ويكون مقيدا كالقيام والقعود فيجب ذكره إن لم يعلم ، فالكون المطلق نحو : لولا زيد لأكرمتك ، والكون المقيد يجب إثباته إذا لم يدل عليه دليل كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها : (لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنت الكعبة على قواعد إبراهيم) وعلى هذا يجب عندهم : لولا زيد يلومني لجئت إليك ، فإن دل في الكلام دليل على الكون المقيد جاز إثباته وجاز حذفه كما في قولهم : لولا أنصار زيد حموه ما سلم ، ويجوز : لولا أنصار زيد ما سلم ؛ لأن لفظ (أنصار) يدل على الحماية ، ففي الكلام دليل على الكون المقيد ، ومما يجري على هذا المذهب قول أبي العلاء المعري :

يذيب الرعبُ منه كلُّ عصبٍ فلولا الغمدُ يمسكُه لسالا

فالخبر هنا كون مقيد وهو (يمسكه) ، وذكره جازم ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه ، وهو الغمد ؛ لأن وظيفة الغمد هي إمساك السيف ، وعلى هذا يجوز أن لا يذكر .

قال المرادي : (وذهب الكوفيون إلى أن الاسم المرفوع بعد (لولا) ليس بمبتدأ ثم اختلفوا ، فقال الكسائي : مرفوع بفعل مقدر تقديره : لولا وجد زيد ، وقال بعضهم : هو مرفوع بـ(لولا) لنيابتها مناب (لو لم يوجد) حكاة الفراء عن بعضهم ، ورده بأنك تقول : لولا زيد لا عمرو لأتيتك ، ولا يعطف بـ(لا) بعد النفي ، وقال الفراء : هو مرفوع بـ(لولا) نفسها لا لنيابتها مناب (لو لم يوجد) وقال صاحب رصف المباني : ويرفع عند الكوفيين على تقدير فعل نابت (لا)

منابه ، فإذا قلت : لولا زيد لأكرمتك و (لولا أنتم لكننا مؤمنين) فالمعنى : لو انعدم زيد ولو انعدمتم ، وهذا هو الصحيح لأنه إذا زالت (لا) ولي (لو) الفعلُ ظاهراً أو مقدرًا ، وإذا دخلت لولا كان بعدها الاسم فهذا يدل على أن (لا) نائبة مناب الفعل ، وقد اتفق الطائفتان على أن (لولا) مركبة من (لو) التي هي حرف امتناع لامتناع و(لا) النافية ، وكل واحدة منهما باقية على بابها من المعنى الموضوع له قبل التركيب⁽¹⁾ .

وقد رد ابن هشام هذه الأقوال كلها في المغني وقال : (ليس المرفوع بعد لولا فاعلاً بفعل محذوف ، ولا بلولا لنيابتها عنه ، ولا بها أصالة خلافاً لزاعمي ذلك بل رفعه بالابتداء)⁽²⁾ .

وإذا وقع بعد (لولا) في هذا الاستعمال ضمير في مكان الاسم الظاهر فحقه أن يكون ضمير رفع نحو : لولا أنت ، ولولا أنا ، ولولا نحن ، وقد سمع قليلاً ، لولاي ولولاك ولولاه ، وهذا المسموع يدل على قسم آخر لـ (لولا) الامتناعية ، فلولا الامتناعية قسمان : الأول : تكون فيه حرف ابتداء إذا جاء بعدها اسم ظاهر مرفوع أو ضمير رفع منفصل كما في الأمثلة المتقدمة .

والثاني : تكون فيه حرف جر إذا وليها الضمير المتصل للنصب والجر كالياء والكاف والهاء في لولاي ولولاك ولولاه ، ومن شواهد هذا القسم قول يزيد ابن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوى

وطحت : معناه هلكت ، وقلة النيق : ما استدق من رأس الجبل العالي .

ومنها قول الراجز : لولا كما لهلكت نفساهما

و(لولا) في هذا القسم حرف جر عند سيبويه والجمهور ، وهي جارة للضمير

(1) الجنى الداني ص 601 ، 602 ، وانظر رصف المباني ص 362 ، 363 .

(2) مغنى اللبيب 1/ 273 .

مختصة به ، والضمير مجرور بها ؛ لأن الياء وأخواتها لا يعرف وقوعها إلا في موضع نصب أو جر ، والنصب في (لولا) ونحوه ممتنع ؛ لأن الياء لا تنصب بغير اسم إلا ومعها نون الوقاية وجوباً أو جوازاً ، فيتعين كونها في موضع جر . والصحيح أن (لولا) في تلك الحالة حرف جر لا يحتاج إلى متعلق ، وموضع المجرور بها رفع بالابتداء والخبر محذوف ، فهي في هذا مثل حرف الجر الزائد الذي لا يتعلق بشيء .

وذهب الأخفش والكوفيون إلى أن (لولا) في لولاي ولولاك ولولاه حرف ابتداء ، والضمير المتصل بها في موضع رفع بالابتداء ، ولولا غير جارة ، لكن العرب أنابوا الضمير المخفوض المتصل عن الضمير المرفوع المنفصل ، كما أنابوا ضمير الرفع مكان ضمير الخفض في قولهم : ما أنا كأت ولا أنت كأتا ، قال صاحب رصف المباني : (والأظهر عندي من هذين القولين قول الأخفش لوجهين : أحدهما أنا إذا جعلنا لولا حرف جر يجيء حرفان يعملان في معمول واحد ، وذلك غير موجود في كلامهم .

والوجه الثاني : أنا إذا جعلنا (لولا) حرف جر تحتاج إلى ما تتعلق به إذ ليست زائدة كالباء في بحسبك ، وليس في الكلام ما تتعلق به ولا ما تقدر متعلقة به ، ولا يحتج بـ(رب) لأنها ملازمة للخفض ، وفي الكلام الداخلة عليه ما تتعلق به بعدها ، هذا مع أن (لولا) لها صدر الكلام ولا تحتاج إلى كلام قبلها تكون جواباً له ، وهذا كله معدوم في حرف الجر مع أنها حرف ابتداء في أكثر مواضعها فالحكم عليها بأنها حرف خفض بالظن ضعيف ، فالأولى أن يحكم عليها بالبقاء على كونها حرف ابتداء عند من يرى ذلك ، أو على أن يحذف الوجود قبل الضمير ويبقى على خفضه .. إذ المعنى موجود فيها في كلتا الحالتين ، والخروج بالضمير له نظير ، والحرفية ليس لها نظير⁽¹⁾ . ومعنى كلامه الأخير أنه يمكن في نحو : لولاي تقدير : لولا وجودي ، وكذا في لولاك : لولا وجودك وفي لولاه :

(1) رصف المباني ص 364 ، 365 .

لولا وجوده ، وفي كل ذلك حُذِف المضافُ ، وبقي المضاف إليه في محل جر لكونه مبنياً ، و(لولا) حرف ابتداء داخلة على المبتدأ كما تكون مع الاسم الظاهر .

الوجه الثاني من استعمال (لولا) : أن تكون للتحضيض والعرض فتختص بالمضارع أو ما في تأويله كما في قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ والتحضيض طلب بحث ، وهو مبالغة الحض وهو الترغيب في الفعل ، يقال : حضه على كذا : أي رغبه في فعله ، فإذا أريد تأكيد الترغيب والمبالغة فيه قيل : حضضه تحضيضاً ، والعرض : طلب برفق ولين ، ومن شواهد العرض قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ والفعل الماضي في هذه الآية في تأويل المضارع ، ويجوز في هذا الاستعمال أن يلي (لولا) اسم معمول لفعل مقدر نحو : لولا زيدا أكرمه ، ولولا زيدا عاقبه ، أو معمول لفعل مؤخر نحو : لولا زيدا أكرمت ، ولولا زيدا عاقبت .

الوجه الثالث من أوجه استعمالها : أن تكون للتوبيخ والتنديم فتختص حيثئذ بالفعل الماضي نحو : لولا ضربت اللص ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ إلا أن الفعل أخر ، ومنه قول جرير :

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطري لولا الكمي المقنعا

والفعل في هذا البيت مضمّر ، وتقديره : لولا عددتم الكمي المقنعا ، قال ابن هشام : (وقول النحويين : (لولا تعدون) مردود إذ لم يرد أن يحضهم على أن يعدوا في المستقبل بل المراد توبيخهم على ترك عدّه في الماضي ، وإنما قال : تعدون على حكاية الحال ، فإن كان مراد النحويين مثل ذلك فحسن⁽¹⁾ .

(1) مغنى اللبيب 1/274 ، 275 .

و(لولا) المختصة بالفعل في هذين الوجهين قد تفصل من الفعل بـ(إذ) معمولة له كما في الآية ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسًا تَصْرَعُوا﴾ أو بإذا معمولة له كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ أو بجملة شرطية معترضة كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا﴾ المعنى: فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدنيين .

الوجه الرابع من استعمالها: أن تكون للاستفهام، وأكثر النحويين لا يذكر هذا الاستعمال، وقد جعل منه الهروي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ومعنى الاستفهام في الآيتين لا يناسب المقام، قال ابن هشام: والظاهر أن الأولى للعرض، وأن الثانية مثل ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءٍ﴾⁽¹⁾.

فهذه الأوجه الأربعة التي ذكرها ابن هشام، وقد بقي فيها وجهان آخران: أولهما: ذكره المرادي في الجني⁽²⁾ بقوله: وزعم علي بن عيسى والنحاس أن (لولا) تأتي بمعنى (ما) النافية، وحملنا على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَّنتُ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ﴾ وهذا الوجه نقله ابن هشام بعد الأوجه الأربعة عن الهروي وقال: الظاهر أن المعنى على التوبيخ أي: فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة ثابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك، وهو تفسير الأخفش والكسائي والقراء وعلي بن عيسى والنحاس، ويؤيده قراءة أبي وعبد الله: (فهلا كانت) ويلزم من هذا المعنى النفي، لأن التوبيخ يقتضي عدم الوقوع⁽³⁾.

والوجه الثاني: نفي عنه ابن هشام أن يكون من أقسام (لولا) وهو مجيؤها بمعنى (لولم) فتكون غير مركبة، وهي التي في قول أبي ذؤيب:

(1) معنى اللبيب 1/ 274 ، 275 .

(2) الجني الداني ص 608 .

(3) معنى اللبيب 1/ 275 .

ألا زعمت أسماء أن لا أحبها فقلت بلى لولا ينازعني شغلي
 فهي في البيت كلمتان ، وجواب (لو) محذوف ، والتقدير لولم ينازعني شغلي
 لزرتك ، وقد قيل : هي في البيت لولا الامتناعية ، و(أن) بعدها مضمرة ، والفعل
 صلة لها ، وقد ارتفع الفعل بسقوط (أن) فهي (لولا) التي تختص بالأسماء ،
 ومحل (أن) وصلتها رفع بالابتداء ، فالتقدير : لولا منازعة شغلي لزرتك⁽¹⁾ .

أحكام (لوما)

قال ابن هشام : (لوما) بمنزلة (لولا) تقول : لوما زيد لأكرمك ، وفي التنزيل
 ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتِ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾⁽²⁾ يشير بذلك إلى أن (لوما)
 تكون حرف امتناع لوجود فتختص بالأسماء ، ويرتفع الاسم بعدها بالابتداء كما
 في المثال ، وتكون حرف تحضيض فلا يليها إلا فعل أو معمول فعل ، وقد مثل
 لذلك بالآية ، وحكم (لوما) في الاستعمالين كحكم (لولا) .

قال ابن هشام : وزعم المالقي أنها لم تأت إلا للتحضيض ، ويرده قول الشاعر :
 لوما الإصاخة للوشاة لكان لي من بعد سخطك في رضاك رجاء⁽³⁾
 أي لو كانت للتحضيض لما دخلت على الاسم المرفوع ؛ لأن التي للتحضيض
 تختص بالفعل .

ما يكون عليه الجواب مع (لولا) و (لوما) :

جواب (لولا) و (لوما) يكون على صورة جواب (لو) :

فيكون مضارعاً مجزوماً بـ(لم) نحو : لولا زيد لسم ينجح عمرو ، أو لوما
 زيد لم ينجح عمرو .

(1) معنى اللبيب 276/1 .

(2) المصدر السابق .

(3) المصدر السابق .

- ويكون ماضيًا مثبتًا مقرونا باللام غالبًا نحو : لولا زيد لهلك عمرو ، ولوما زيد لهلك عمرو ، ومن غير الغالب خلوه من اللام كما في قول الشاعر : لولا زهير جفاني كنت متصرا ، وقول الآخر : وكم موطن لولاي طحت .. البيت ، وتقول : لوما زيد هلك عمرو .

- ويكون ماضيًا منفيًا بـ(ما) مجردا من اللام غالبًا : نحو : لولا زيد ما نجح عمرو ، ولوما زيد ما نجح عمرو ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَوَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ وقول الشاعر :

لولا رجاء لقاء الظالمين لما أبقت نواهم لنا روحًا ولا جسدًا
وإذا دل على الجواب دليل جاز حذفه كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَوَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : لعجلت لكم العقوبة .

■ ■ ■ ■ ■ خلاصة هذا الدرس ■ ■ ■ ■ ■

1- أن (لو) تختص بالجملة الفعلية ، وإذا وليها جملة اسمية فللنحويين فيها ثلاثة أقوال ، وأنها تفارق (إن) الشرطية في وقوع (أن) بعدها كثيرًا ، وفيها خلاف بين النحويين في موضع المصدر المؤول بعدها ، وأن (لو) الامتناعية تختص بالدخول على الماضي ، و(لو) المرادفة لـ(إن) تحول ما بعدها إلى الاستقبال ، وأن (لو) لغلبة دخولها على الماضي لم تجزم ، وأن جواب (لو) يأتي على ثلاث صور وله صورتان أخريان نادرتان .

2- أن (لولا) تستعمل على أربعة أوجه ، وأنها إذا كانت امتناعية تكون حرف ابتداء أو حرف جر .

3- أن (لوما) بمنزلة (لولا) في الاستعمال ، وأن جوابها وجواب لولا له ثلاث صور كجواب (لو) .

●●●●● أسئلة حول الدرس ●●●●●

- س1: تدخل (لو) على الفعل تقديرًا ، فما ضابط ذلك ؟ اذكر أمثلة لمواضع ذلك .
- س2: إذا ولي (لو) جملة اسمية . فما أقوال النحويين في توجيه ذلك ؟
- س3: إذا وقعت (أن) بعد (لو) فما موقف النحويين من إعراب المصدر المؤول منها ومن صلتها ؟ وضح ما تقول بالمثل .
- س4: لماذا لم تجزم (لو) ؟ وما أقوال النحويين في ذلك ؟
- س5: ما الصور التي يأتي عليها جواب (لو) ؟ اذكر أمثلة لتلك الصور .
- س6: هل يأتي جواب (لو) جملة ؟ اذكر أقوال النحويين في ذلك مع التمثيل .
- س7: اذكر أقوال النحويين في تعريف (لو) الامتناعية مع الترجيح .
- س8: اذكر الأوجه التي تستعمل بها (لولا) وبين دلالتها في كل وجه ، وما تختص بالدخول عليه مع التمثيل .
- س9: هل تأتي (لولا) حرف جر ؟ اذكر أقوال النحويين في ذلك مع التوضيح بالمثل .
- س10: ما معنى قول النحويين : (لوما) بمنزلة (لولا) ؟ وما صورة جواب كل منهما ؟ مثل لما تذكر .